TÜRKİYE İLAHİYAT ARAŞTIRMALARI DERGİSİ
Cilt / Vol: 2, Sayı/Issue: 1, 2018
Sayfa: 59-92
Received/Geliş: Accepted/Kabul:
[14.-05-.2018] – [06.-07-.2018]

بلاغة أسلوب الخبر في سورة إبراهيم

Sahl DERSHAWI
Dr. Öğr. Üy., Karabük Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi
Dr., Karabuk University, Theology Faculty
Orcid ID: 0000-0002-5339-6542
Sahlder@hotmail.com

ملخص البحث

لما كانت معجزة القرآن الكريم في بلاغة نظمه وأساليبه، فإن إثبات ذلك طريقه دراسة خصائصه اللغوية ومنهجه في عرض المعاني والأفكار. وفي هذا السياق يسعى البحث إلى عرض أسلوب القرآن الكريم في إلقاء الأخبار، على ضوء من القواعد البلاغية المتفق عليها عند أهل اللغة، متخذاً سورة إبراهيم حقلاً للدراسة، وقد استوى البحث في ثلاثة مباحث : تناول في الأول خروج الخبر في السورة إلى معان بلاغية متنوعة ومتعددة، ولاحظ تلون الغرض البلاغي وفق مضمون الخبر والغاية التي سيق لأجلها، ثم برهن في المبحث الثاني على دقة البيان الإلهي في توكيد الخبر مراعياً في ذلك حال المخاطب، وظهر للباحث أن أكثر ما ورد الخبر في السورة موشحاً بثوبه الإنكاري لمناسبته جو السورة، وموضوعاتها المتعلقة بالعقيدة محل الخلاف بين الرسل والكافرين من أقوامهم. أما المبحث الثالث فكان لعرض الدواعي البلاغية التي جعلت البيان الإلهي يخرج على القاعدة العامة في توكيد الخبر فينزل المنكر منزلة المقر والمقر منزلة المنكر.

الكلمات المفتاحية: القران الكريم، بلاغة، أسلوب، الخبر، سورة إبراهيم

İbrahim Suresinde Haber Üslubunun Belagati

Öz

Kur'an-ı Kerimin mucizesi belagatındadır. Bu mucizenin ispatlanmasının yolu, onun dilsel özelliklerini ve anlatım yöntemlerini ortaya koymaktır. Bu bağlamda çalışmamız, İbrahim Suresi örneğinde, dilcilerin üzerinde ittifak ettikleri belagat kuralları ışığında, Kur'an'ı Kerim'in haberleri aktarmada kullandığı üslubu araştırmaya hedeflemektedir. Çalışmamız üç bölümden oluşmaktadır. Birinci bölümde, suredeki haberlerde bulunan farklı belagatların amaçları ele alınmıştır. Böylece haberin içeriği ve konumuna göre belağattaki amacının da değiştiği fark edildiği ortaya çıkmıştır. Sonra ikinci kısımda, ilahi beyanın, muhatapların durumunu dikkate alarak haberi vurgulamadaki açıklığı ele alınmıştır. Böylece surenin ele aldığı konulara uygun olduğu için surede geçen inkârî haber türünden olduğu ortaya çıkmıştır. Üçüncü bölümde ise haberin te'kidinde Kur'an'ı Kerim'in genel kuralların dışına çıkmasının belagat açısından nedenleri incelenmiştir.

Anahtar Kelimeler: Kur’an-ı Kerim, Belagat, Üslup, Haber, İbrahim Suresi

The Rhetoric of al-Khabar in Surat al-Ibrahim

Abstract

The miracle of the Qur'an is in it rhetoric (Balagha). The way to prove this is to reveal its linguistic properties and methods of expression. This research aimed to study the style that Holy Qur'an used to convey the (Al-Khabar) in the light of the rhetorical principles which are taken by the scholars. therefore, Surat Ibrahim was chosen to be researched. The research consists of three parts. in the first part stated that Holy Quran took out the (Al-Khabar) to many rhetorical meanings and noted the rhetorical purpose were varied according to the content of the (Al-Khabar) and the goal for which it was given. Thus, it became clear that the purpose of the (Al-Khabar) was changed according to the content and position of the (Al-Khabar) in the second part, the researcher proved the precision of Holy Quran statements with regards to assuring (Al-Khabar) to be Commensurate with the state of the recipients. It was also observed that most of the (Al-Khabar) in the Surah was (Inkaree) type, this is due to the theology issue in the Surah, where Allah's messengers and faithless people were arguing about the truth. The third part presented the rhetorical purposes which made Holy Quran violate the general rule in terms of assuring the (Al-Khabar).

Keywords: The Holy Quran, Rhetoric, Wording, al-Khabar, Surat al-Ibrahim.

المقدمة

الحمد لله الذي اختار لأحكامه ومعانيه غرة كلام العرب وفخر تراكيبهم وعالي أساليبهم، وجعل معجزته في جمال نظمه وسحر بيانه وروعة أسلوبه، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين والناطق بالحق الأمين بلسان عربي مبين، وبعد: فإن كتاب الله تعالى لم يزل قبلة الباحثين ومعين العلماء وطلاب العلم على مر العصور والأيام، كلٌّ ينهل منه ما يروى به ظمأه ويثري به مجال تخصصه. ولما كانت معجزة القرآن الكريم في بيانه وبلاغته فقد شكل الدرس اللغوي محور اهتمام الدارسين له، وأثار اهتمام العلماء الراغبين بالاستدلال به على إلهية مصدره وقدسية تعاليمه. فهو الكتاب السماوي الذي ما برح يرفع لواء التحدي للإنس والجن، ويدعوهم للمنازلة في حلبة الفصاحة والبلاغة، ورغم كر السنين وتبدل الأقوام والأمم والأحوال لم يزده قدمه إلا جدة وأصالة.

وإذا كانت جوانب إعجازه اللغوي وبلاغة نظمه وبيانه جلية عند الرعيل الأول من العرب المعاصرين لنزوله تسعفهم في هذه المعرفة سليقتهم السليمة وحساسيتهم العالية في تذوق طعوم الكلام وتمييزه، فإن هذه الملكة قد علاها الغبار واعتراها ما اعتراها مع الزمن من فساد وتحور ولحن بسبب مخالطة العجمة لسان العرب، فاحتيج الحق الناصع إلى صقل، والبائن الظاهر إلى كشف وإيضاح، مما دعا أهل العلم إلى التشمير عن ساعد الجد، فانبروا لكشف هذا الوجه العظيم الذي امتاز به كلام الله، لكونه السلاح الذي اخرس به الله تعالى المشركين من العرب وأقام به عليهم الحجة، فوجب أن يظل بارزاً تتناقله الأجيال برهاناً صادقاً على نسبة هذا البيان للعليم القدير.

والحديث عن بلاغة القرآن الكريم يعني الاحتكام إلى فنون البلاغة الثلاثة المعاني والبيان والبديع بغية الاستدلال على تفوق البيان الإلهي على سائر كلام البشر في نظمه وأسلوبه وطريقة عرضه للمعاني، لأن البلاغة بمعناها العام هي مجيء الكلام مطابقاً للمقام الذي ألقي فيه، ومناسباً لحال المخاطب ومستواه، إذ لكل مقام مقال يلائمه، فالكلام – نظماً كان أو نثراً – يرتقي في سلم البلاغة بمقدار ملاءمته للموقف وانسجامه معه، وبمقدار ما يتم التطابق الدقيق بين المعنى القائم في الذهن واللفظ الدال عليه والمصور له يوصف الكلام بالبلاغة والبيان؛ لأن الغرض منه نقل المعاني والمشاعر من خبايا الذهن وغياهب الشعور إلى ساحة الواقع المدرك من مسموع أو مقروء، أو قل إن شئت هو عرض الأفكار والتصورات بالطريقة الأوضح والأنسب ليدركها المخاطب. والعرب أمة عُرِفَت بعنايتها بفنون القول وصناعة الكلام وروائع الأدب، ولهم في هذا الميدان صولات وجولات، فلم يصعب عليهم استنباط معايير جودة الكلام وضوابط سلامته وعلامات حسنه وجماله، فاعتمدوا عليها في نقد الشعر والنثر وساروا على ضوئها في دراسة النظم القرآني، فكان لعلماء البلاغة جهود مباركة في تجلية المراد بإعجاز القرآن الكريم البلاغي ابتداء من الجاحظ ٢٥٥هـ في كتابه "نظم القرآن"، ومن بعده الواسطي ٣٠٦هـ

في كتابه "إعجاز القرآن" ثم الرماني ٣٨٤هـ والخطابي والباقلاني ٤٠٣هـ والجرجاني ٤٧١هـ ..، هذا في الجانب التقعيدي والنظري أما على الصعيد التطبيقي فكان للزمخشري ٥٣٨هـ صاحب تفسير الكشاف قصب السبق في تتبع النكت البلاغية في القرآن الكريم حتى عد العلماء تفسيره تطبيقاً عملياً لما ورد عند الجرجاني وغيره من علماء البلاغة، وبرهاناً عملياً على ما ذكروه من قواعد بلاغية، لما تضمنه الكتاب من تدليل دقيق وإشارات لطيفة ، أبرزت مواطن الجمال البلاغي وروعة البيان التي اختص بها كتاب الله.

وقد شكل هذا الكتاب مع غيره من التفاسير التي اعتنت بالجانب البلاغي من القرآن الكريم حقلاً خصباً للباحثين وطلاب العلم ومصدراً ثراً للشواهد البلاغية التي راحوا يجمعونها ويهذبونها ويرتبونها وفق أبواب وأبحاث علوم البلاغة الثلاثة ويقيسون عليها في استنباط غيرها، ومن ثم ظهرت الدراسات البلاغية الخاصة بكل سورة من سور القرآن الكريم، وكان للجامعات دور مهم في تشجيع طلبة الدراسات العليا على دخول هذا المضمار يقيناً منها بأنه الوسيلة الأنجع والمران الأفضل للتمرس والتضلع في علم البلاغة واكتساب الملكة السليمة في تذوق عال الكلام والنسج على منواله.

وقد دفعني ذلك إلى المساهمة بشيء في هذا الاتجاه فعقدت العزم – مستعيناً بالله – على خدمة كتابه العزيز بسبر أغواره والغوص على لآلئه وفتح أصدافه بغية الكشف عن مكنوناته وأسراره البلاغية، فألقيت بشباكي راجياً منه أن لا يخيب جهدي ويرزقني منه فضلاً وأجراً.

من المعلوم أن القرآن معجز كله، يشبه بعضه بعضاً في جودة الكلام، (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ) لا تفاوت ولا تفاضل بين سوره في فصاحة المفردات وبلاغة النظم، ومن هنا وقع اختياري على سورة إبراهيم حقلاً للدراسة، ولما كان استقصاء جميع ما ورد في السورة من لطائف بيانية وأغراض بلاغية أوسع مما يستطيعه باحث في بحث صغير كهذا، وكانت السورة مشتملة على ما تتصف به السور المكية من غزارة في المادة البلاغية، وقد صيغ أكثر ما ورد فيها من المعاني بأسلوب الخبر، رأيت من المناسب تتبع الشواهد البلاغية للأسلوب الخبري بتناول أغراضه وأضرابه ودواعي خروجه على الظاهر، وما انطوى عليه من الدقة في التعبير والإحكام في الصنعة اللغوية. فالسورة قد ذكرت طرفاً من قصة سيدنا إبراهيم ومناجاته ربه حين أمر بترك زوجه وذريته في الواد القفر، وساقت لنا الحوار الذي دار بين رسل الله تعالى والمكذبين من أقوامهم، وصورت الحال التي سيكون عليها المعذبون في النار، ونقلت خطبة إبليس في أتباعه في النار وتبادلهم اللوم وتقاذفهم التهم. إلى جانب الأمثال التي ضربت للكلمة الطيبة والخبيثة، وكل ذلك بأسلوب خبري رصين متنوع الأغراض ومتعدد الأضراب.

أهمية البحث

١. لا منازع في أن البحث في القرآن الكريم من أسمى الغايات وخدمته من أجل القربات، فهو الكتاب الذي يرفع الله به أقواماً ويضع به آخرين، ولما كان الجانب البلاغي أهم مظاهر إعجازه كان في الكشف عنه

ترسيخ لإيماننا بسماويته وبرهان ساطع وسيف مشهر في وجه المنكرين والجاحدين له، وكان الاشتغال بمثل هذه البحوث سعياً طيباً وعملاً مباركاً في سبيل حفظ مصدر الإسلام الأول ودستوره الخالد.

٢. الأسلوب الخبري أحد شطري أي كلام مفهوم، فالكلام المفيد إما أن يكون خبرياً أو إنشائياً، وإجراء المعاني بأسلوب الخبر يتعدى غرضيه الأساسيين فائدة الخبر ولازمها إلى أغراض ومعاني أخرى تفهم من سياقات الكلام ومقاماته، وهذا الأمر ينطبق على الأخبار الواردة في القرآن الكريم فليس الغرض من كل خبر ورد فيه إفادة المخاطبين ما تضمنه الخبر، ولذا فإن الوقوف على الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الخبر يسهل على المفسر فهم المراد من النص القرآني، وذلك يحتاج منا معرفة تامة بأحوال الأسلوب الخبري وأضرابه وما يتعلق به.

هدف البحث

الغاية من هذا البحث التدليل على أن القرآن الكريم يتربع في ذروة البلاغة العربية رغم سيره على سنن كلام العرب واستخدامه مفرداتهم وتراكيبهم، من خلال دراسة أسلوب القرآن الكريم في إلقاء الأخبار وتوظيفها في طرح الأفكار والمعاني، وذلك بالاحتكام إلى القواعد البلاغية المتفق عليها عند أهل الصناعة البلاغية للوصل إلى نتيجة مفادها أن كلام الله تعالى يسمو في علياء البلاغة لا يطاله شيء من كلام البشر.

منهج البحث

بما أن البحث دراسة في البلاغة فإنني ألتزم القواعد التي اعتمدها أهل البيان في تقييم الكلام، وأقدم للقاعدة البلاغية بما يزيل عجمتها من خلال تعريف مبسط وتوضيح لمعناها معتمداً على مصادر علم البلاغة، ثم اجتهد في البحث عن شواهدها من سورة إبراهيم حقل الدراسة مستفيداً من الإشارات والشذرات المذكورة في التفاسير إضافة إلى ما هداني إليه نظري وتأملي وملكتي البلاغية.

تمهيد: بين يدي سورة إبراهيم

سورة إبراهيم هي السورة الرابعة عشرة حسب ترتيب المصحف الشريف، تقع بعد سورة الرعد وتسبق سورة الحجر، وتأتي بعد سورة نوح وقبل الأنبياء في ترتيب نزول السور القرآنية[١]،وعُدَّت آيَاتَهَا أَربعًا وَخمسين عنْد المدَنِيين، وخمسا وَخمسِينَ عِند أَهل الشَّام، وَإِحدى وَخمسينَ عِندَ أَهلِ البصرةِ، وَاثنتين وَخمسِينَ عِند أَهل الكوفَة وهذا الأخير هو ما نجده في مصاحفنا.

[١] ينظر: الرازي، عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب للرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٢٠ هـ، ٥٦/١٩

وروى القرطبي عن الحسن وعكرمة وجابر قولهم إنها مكية[٢] كلها وهو مذهب الجمهور[٣]، فيما روي عن ابن عباس وقتادة أنها مكية إلا آيتين منها مدنيتان هما: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ)[٤] نزلتا في شأن قتلى المشركين الذين حاربوا الله ورسوله في غزوة بدر، وهناك من أضاف إلى الآتين السابقتين في الاستثناء الآية التي تليهما قوله تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ)[٥][٦]

لا تختلف سورة إبراهيم كثيراً عن السور المكية عموماً في إطارها العام وأهدافها ولا في موضوعاتها كذلك، إذ تهدف إلى ترسيخ أسس العقيدة الإسلامية والاستدلال على أصول الدين من الإيمان بالله والإيمان بالرسل والأنبياء والإيمان بالبعث والنشور والحساب والجزاء.

وتبين أن من فضل الله تعالى على البشر أن شملهم كلهم بنعمه لم يفرق بين مؤمن به وكافر، ولكن تؤكد في الوقت نفسه على أن خاتمة الشاكر للنعم تختلف عن مآل الجاحد وأن الناكرين لنعم الله والظالمين سينالهم في الآخرة عقاب من الله عظيم.

وتحقيقاً لهذا الغرض وإنجازاً لهذا الهدف جُعِل محور السورة الأساس الرسالة والرسل؛ وحدتها ووظيفتَهم ووحدة دعوتهم، فالأنبياء جميعاً بعثوا لتعريف الناس بخالقهم الإله الحق الذي تعنو له الوجوه وتخضع له الرقاب. بالإضافة إلى تذكير الناس بنعم الله تعالى الكثيرة عليهم وواجبهم في شكرها، ثم تذكر السورة قصة سيدنا إبراهيم كنموذج للعبد الشاكر لربه الذي استجاب دعاءه، ثم تختم بتصوير عاقبة المجرمين وهم مقرنين في أصفادهم سرابيلهم من قطران تغشى وجوههم النار. أعاذنا الله من تلك العاقبة ورزقنا رضوانه.

ولكن إذا أمعنا النظر في جزئيات السورة وأمتعنا الفكر في سير آياتها ظهرت لنا حقيقتان تظلان جو السورة تسعى من خلالهما إلى تحقيق ما تهدف إلى تحقيقه، بحيث تتفرع عنهما مواضيعها الجزئية تفترق ثم تعود لتتجمع وتنضوي تحت هاتين الحقيقتين:[٧]

---

[٢] القرطبي، عبد الله محمد بن فرح الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية:٣٨٨/٩

[٣] ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ هـ، ١٧٧/١٣، وابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ٤٧٦/٤

[٤] سورة إبراهيم: الآيتان ٢٨، ٢٩

[٥] سورة إبراهيم: الآية ٣٠

[٦] ينظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٤ هـ، ١١١/٣، وأبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٣٠/٥، والقرطبي، أحكام القرآن:٣٣٨/٩

[٧] ينظر: سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة السابعة عشر – ١٤١٢هـ، ٢٠٨٢/٤

الحقيقة الأولى: حقيقة الرسالة والرسول ووحدة الرسالة والرسل ووحدة دعوتهم ووقوفهم أمة واحدة في مواجهة الجاهلية المكذبة بدين الله تعالى على اختلاف الأزمنة والأمكنة.

الحقيقة الثانية: وتتحدث عن نعم الله تعالى على البشر، وزيادتها بالشكر وتتناول الذين كفروا بهذه النعمة وبطروا، والذين آمنوا بها وشكروا ونموذجهم الأول هو إبراهيم، وتصور مصير الظالمين الكافرين بنعمة الله في سلسلة من أعنف مشاهد القيامة، وأحفلها بالحركة والحياة..

المراد بالخبر في مصطلح البلاغيين

استقر رأي علماء البلاغة على تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء. ودليلهم على ذلك انحصار الكلام المفيد فيهما، لأن الكلام:

إما أن يقال فيه: إنه مطابق للواقع أو غير مطابق للواقع وهذا الصنف من الكلام هو الخبر، أو أنه لا يحتمل أن يقال فيه – باعتبار منطوقه، لا باعتبار دلالاته اللزومية – ما سبق، فيكون إنشاء.

فالجملة المفيدة تنقسم إذاً على قسمين:

القسم الأول: الجملة الخبرية، وهي التي تتضمن الإخبار عن شيء إما سلباً أو إيجاباً، بقصد "الإعلام بأن الحكم الذي اشتملت عليه له واقع خارج العبارة الكلامية مطابق له"[٨]

القسم الثاني: الجملة الإنشائية، وهي التي ليس لمدلولها خارج يحتمل أن يطابقه أو يخالفه وإنما ينشأ مدلولها مع التلفظ بها ولا يقال لقائلها إنه صادق فيما يقول أو كاذب أي لا تحتمل الصدق أو الكذب ويراد بها جملة الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء. [٩]

وعليه فالخبر هو ما احتمل الصدق أو الكذب لذاته باعتبار كونه مجرد كلام[١٠]، دون نظر إلى قائله[١١]، نحو قولنا: الجو بارد، الطريق طويلة..

---

[٨] ينظر: التفتازاني، المطول شرح تلخيص المفتاح: ١٧٢، وحَبَنَّكَة، عبد الرحمن بن حسن الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى: ١٦٦/١

[٩] ينظر: السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م، ١٦٦، والسبكي، عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح (ضمن شروح تلخيص المفتاح)، نشر أدب الحوزة، تصوير: دار الكتب العلمية، لبنان –بيروت، ١٠٤/١

[١٠] ينظر: المغربي، ابن يعقوب، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، (ضمن شروح تلخيص المفتاح)، نشر أدب الحوزة، تصوير: دار الكتب العلمية، لبنان –بيروت، ١٦٥

[١١] إيراد هذا القيد في التعريف لتدخل في التعريف الأخبار الواجبة الصدق كالأخبار الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأخبار الرسل، والبديهيات المألوفة نحو قولنا: نحن على الأرض، وليدخل في التعريف كذلك الأخبار التي لا شك في كذبها نحو ادعاء المتنبئين النبوة. وقيل: إن النبأ أخص من الخبر ويراد به الخبر الذي تعرى عن الكذب كخبر الله تعالى وخبر نبيه صلى الله عليه وسلم، والتواتر، ولذا سمى الله تعالى القرآن وما ورد فيه نبأ فقال جل ذكره:

وهناك من عرفه بأنه: "ما يتحقّق مدلولهُ في الخارج بدون النطق به"[١٢] ويعني أن حصول معنى الخبر لا يتوقف على التلفظ به، نحو قولنا: الحديقة جميلة، فإن نسبة الجمال إلى الحديقة حاصلة سواء أنطقنا بهذا الخبر أم لم ننطق[١٣]، بخلاف الإنشاء الذي يتولد مع التلفظ ويكون عدماً قبله.

وجمهور أهل العلم[١٤] على أن مناط الحكم على الخبر هو مطابقته للواقع الخارجي أو عدم المطابقة، فيكون صادقاً إن وافق الواقع وكاذباً إن خالفه.

المبحث الأول: الغرض من إلقاء الخبر

جعل أهل البلاغة الأصل في إلقاء الخبر أن يكون لأحد غرضين[١٥]:

الأول: إفادة السامع الحكم الذي اشتملت عليه الجملة، ويكون عند جهل المخاطب له، ويسميه أهل البلاغة فائدة الخبر.

الغرض الثاني: إعلام المخاطب أن المتكلم على علم بالحكم الذي تتضمنه الجملة، ويكون المخاطب في هذه الحالة عالماً بالخبر. ويسمى هذا الغرض لازم الفائدة.

ولكن الملاحظ من كلام العرب أن المخبر يتحلل من هذين الغرضين في كثير من الأحيان ويخرج عليهما، فيسوق خبره قاصداً من ورائه أغراضاً أخرى تظهر من خلال سياق الكلام، وتكشف عنها القرائن، وهي تتجدد وتتنوع تبعاً لما تجود به قرائح البلغاء واستعمالات الأدباء، وقد اعتدنا من أهل الصناعة البلاغية أن يستشهدوا بطرف منها على سبيل المثال عن الحديث عن الخبر[١٦].

(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ)، (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ)، ومنه النبوة والنبي لإنبائه عن الله صدقاً ما تسكن إليه العقول. ينظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٢هـ، ٧٨٩، ودراز، صبَّاح عبيد، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ٧

[١٢] الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ٥٥، وينظر: السبكي، عروس الافراح: ١٠٥/١

[١٣] ينظر: عيسى العاكوب، المفصل في البلاغة العربية: ٦٩

[١٤] ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: ١٦٦، والتفتازاني، المطول: ١٧٣، والصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ٣٦/١، والصيادي، أحمد مطلوب أحمد الناصري الرفاعي، أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني، وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة: الأولى، ٨٩، وفضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها: ١٠٤

[١٥] ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: ١٦٦

[١٦] منها:

- **الاسترحام والاستعطاف**، نحو قوله تعالى: (إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) (سورة القصص: الآية ٢٤)
- **إظهار الضعف** كما في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) (سورة مريم: الآية ٤) جاء الخبر هنا معبراً عن ضعف العبد في حضرة خالقه.
- **التوبيخ** نحو قولك لمسلم تارك للصلاة: "الصلاة عماد الدين" فأنت لا تقصد من هذا الخبر إعلامه بمضمون هذا الخبر وهو فرضية الصلاة وكونها أساس الدين، لأنه يعرف ذلك، بل تقصد توبيخه على ترك ما هو خليق بأن يتمسك به.

الأغراض البلاغية للخبر في سورة إبراهيم

وإذا تتبعنا ورود الخبر في سورة إبراهيم نقع على أمثلة كثيرة خرج الخبر فيها عن إطار الفائدة ولازمها لأغراض بلاغية متنوعة يكشف عنها سياق الآيات، نذكر منها:

الامتنان

في قوله تعالى: (الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)[١٧] حيث تضمن نعمة كبيرة من الله تعالى تمثلت بالكتاب المنزل لهداية الناس ونقلهم من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان، على سبيل الامتنان.

وورود الخبر لغرض الامتنان والتَّفَضُّل جاء كذلك في قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ)[١٨] حيث ذكرت الآيات أخباراً متعددة تضمنت إنعام الله تعالى على الإنسان وآلائه بخلق السموات والأرض، وإنزال الغيث، وتسخير الشمس والقمر والبحار والأنهار للإنسان، وهذه الإخبار تأتي لإظهار فضل الله ومنَّتِهِ على عباده، قال ابن عطية معقباً: " الآيَةُ تَذْكِيرٌ بِآلاءِ اللهِ، وتَنْبِيهٌ عَلى قُدْرَتِهِ الَّتِي فِيها إحْسانٌ إلى البَشَرِ"[١٩]. وتختم الآيات ذكر النعم بقوله: (وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) وقوله (آتاكم) لجنس البشر على سبيل التعديد للنعمة، أي إن الإنسان قد أُوتي بجملته كل ما من شأنه أن يُسأل وينتفع به، ولا يعني اطراد ذلك في كل واحد من الناس[٢٠].

- **الفرح بمقبل** نحو ما جاء في قوله تعالى: (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)
- **التحفيز وتحريك الهمة** إلى أمر يجب تحصيله مثل قوله تعالى: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ)
- **إظهار التحسر على شيء يراد**، كما في قوله تعالى حكاية عن امرأة عمران: (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ) فأم مريم لا تريد الإعلام بمضمون الخبر ولا بلازمه، لأنها تخاطب الله تعالى العالم بحالها، وإنما تريد التعبير عن تحسرها لخيبة رجائها في ولادة ولد ذكر تهبه لبيت المقدس. ومنها الوعد والوعيد والمدح والذم والتحذير والأمر والنهي والإنكار والتبكيت والتعظيم والتحقير وغيرها من الأغراض التي لا حصر لها وتتفتق عنها قرائح البلغاء والفصحاء من المتكلمين وتظهر من خلال سياق الكلام. ينظر: عروس الأفراح (ضمن شروح التلخيص): ١٩٣، وحامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، ٩/٢، والهاشمي، جواهر البلاغة:٥٦، وعبد الرحمن حبنكة، البلاغة العربية: ١٧٤/١، وعيسى يعقوب، المفصل في البلاغة العربية:٧٩

[١٧] سورة إبراهيم: الآية ١

[١٨] سورة إبراهيم: الآيات ٣٢، ٣٣، ٣٤

[١٩] ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٢، ٣٣٩/٣

[٢٠] ينظر: المرجع السابق، الموضع نفسه.

وفي قوله (كل ما سألتموه) قراءتان[٢١] الأولى المشهورة (مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) فتكون (ما) إما مصدرية، ويكون الضمير في (سألتموه) عائداً على الله تبارك وتعالى، أو تكون (ما) موصولة بمعنى (الذي) ويكون الضمير في (سألتموه) عائداً على (الذي)، والمفعول الثاني لـ آتاكم محذوف تقديره (شيئاً)[٢٢].

والقراءة الثانية للضحاك والحسن وقتادة ورويت عن نافع (من كُلٍّ ما سألتموه) بتنوين (كلٍّ) فتكون (ما) مفعولاً ثانياً لـ (آتاكم)، وذهب بعضهم إلى اعتبار (ما) نافية على هذه القراءة، أي: أعطاكم من كلٍّ شيئاً ما سألتموه، فيكون المفعول الثاني (شيئاً)[٢٣]

التنبيه والتحذير

نحو ما ورد في قوله تعالى: (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ)[٢٤] على القول بأنها جملة مستأنفة بجعل الذين مبتدأ وأولئك خبره، إذ تضمن الخبر تحذيراً لهذا الفريق من الناس مما هم فيه ببيان عاقبته، فمن سلك هذا الطريق كان في (ضلال بعيد) كل البعد عن الحق والخير.

وكذلك في قوله تعالى: (وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤))[٢٥] إذ نجد الخبر في: (فيقول الذين ظلموا...) جاء لغرض الإنذار والتنبيه، وحمل المخاطبين على أخذ العبرة مما سيحل بالظالمين من الذل والهوان، حين يترجون ويتوسلون الله تعالى أن يمهلهم فرصة كي يؤمنوا به وبرسله، والمراد بـ (أجل قريب) الرجوع إلى دار الدنيا لتدارك ما فرطوا من إجابة الدعوة، وقيل[٢٦]: إنهم أرادوا بذلك رفع العذاب عنهم وإعادتهم إلى حال التكليف مدة يسيرة ليعملوا ما يرضيه سبحانه[٢٧].

---

[٢١] ينظر: ابن مِهْران، أحمد بن الحسين النيسابوري، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية – دمشق، ٢٥٧

[٢٢] ينظر: الخراط، أحمد بن محمد، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ٥٤٧/٢

[٢٣] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: ٣٤٠/٣، وابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٥١٤/٢، والبيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي، أنوار التنزيل واسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠/٣، وأبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ٤٤٠/٦

[٢٤] سورة إبراهيم: الآية ٣

[٢٥] سورة إبراهيم: الآية ٤٤

[٢٦] ينظر: الالوسي، روح المعاني: ٢٣٣/٧

[٢٧] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: ١٠٩/١٩، وأبو حيان، البحر المحيط: ٤٥٢/٦، والألوسي، روح المعاني: ٢٣٣/٧

التهديد والوعيد

مثاله قوله تعالى يصف حال الكافرين ومصيرهم في النار قائلاً: (مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ)[٢٨] فالخبر هنا قد خرج متضمناً مع فائدته معنى الوعيد الشديد لأولئك المكذبين بالرسل، وجاء بعد قوله: (وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ)[٢٩] الذي بين فضل الله تعالى على رسله حين فتح عليهم، واستجاب دعاءهم في النصر وأظهرهم على عدوهم، فسيق الخبر لغرض إظهار فضل الله وإحسانه على رسل، ثم أورد تعالى جملة من الأخبار (من ورائه جهنم)(ويسقى من ...) (ويأتيه الموت ..)(وما هو بميت) (ومن ورائه ...) جعلها صفة لـ (جبار عنيد) متوعداً أولئك الكافرين بمزيد من العذاب والإذلال يلقونه عند ورودهم جهنم من ماء صديد، وعذاب مطبق عليهم من كل جهة كأنه الموت غير أنه مستمر في حين أن الموت تنتهي سكراته بخروج الروح، ولا يخفى ما لهذه الأخبار من أثر في تخويف السامع وتفزيعه لما تحمله من التهديد والوعيد.

ولغرض الوعيد بزوال كل ما عمله الكافرون وأنتجوه جاء الخبر المتضمن تشبيه أعمال الكافرين يوم القيامة بالرماد الذي هبت عليه ريح قوية فنثرته في كل جهة (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ)[٣٠] حيث يبيّن الخبر الوارد في الآية إفلاسهم وعدم انتفاعهم بشيء منها لأنهم يومئذ (لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ) فيا لها من خيبة ويا له من خسران حين يقف الكافر ينتظر ثواب أعمال صنعها في الدنيا وتأمل بها خيراً، فيفاجأ بها تبعثر أمام عينيه إشارة إلى عدم قيمتها مصداق قال تعالى (وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا)[٣١] ثم يأتي تذييل الآية خبراً آخر غرضه التقرير والتأكيد يقيّم المشهد ويحكم عليه بقوله: (ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ).

التحفيز وتحريك الهمة

نلحظ ورود الخبر في السورة لغرض بعث الهمم لنيل رضاء الله تعالى والفوز بثوابه من خلال الترغيب الذي نلمسه في قوله تعالى: (وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ)[٣٢] فالآية الكريمة بدأت الخبر بالفعل الماضي للدلالة على أمر مستقبل لتفيد القطع بحصوله واليقين بوعد الله، وجاء هذا الوعد من الله بعد أن ذكر طرفاً من الجدال والخصومة الجارية بين أهل النار وهم

[٢٨] سورة إبراهيم: الآيتان ١٦، ١٧

[٢٩] سورة إبراهيم: الآية ١٥

[٣٠] سورة إبراهيم: الآية ١٨

[٣١] سورة الفرقان: الآية ٢٣

[٣٢] سورة إبراهيم: الآية ٢٣

يتقاذفون التهم ويتبادلون اللّوم والتأنيب، فحسُن الانتقال بعد ذلك إلى وصف حال المؤمنين على سبيل الترغيب والبشارة لهم باختلاف مصيرهم عما سبق، فهم يدخلون جنات تجري من تحتها الأنهار سارحة فيها حيث ساروا في سلامة ودَعَة[٣٣]، منزهين عن الخوض في المهاترات والمنازعات.

الذَّم

ومما جاء فيه الخبر مقصوداً به الذم قوله تعالى: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)[٣٤] بعد ذكر الكلمة الطيبة وتشبيهها بالشجرة الطيبة في قوله: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ...)[٣٥]، والكلمة الخبيثة هي الكفر والشرك، وقيل: كل قبيح من الكلام، والشجرة الخبيثة: الحنظل عند جمهور العلماء[٣٦]. والآية خبر اشتمل على تشبيه سيق لذم الكفر وتقبيحه، فهو كشجرة الحنظل طعمها مرٌّ، لا أصل لها ثابت في الأرض، ولا فرع صاعد في السماء، استؤصلت وقُلعت جثتها من الأرض ما لها ثبات، وكذلك الكافر بما في قلبه من الشرك لا خير له في الأرض ولا عمل يصعد له إلى السماء.

ومن شواهد الخبر الوارد لغرض الذم أيضاً قوله تعالى: (وجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ)[٣٧] عطفاً على قوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْرًا وأَحَلُّوا قَوْمَهم دارَ البَوارِ)[٣٨] حيث تضمن الخبر ذماً لأولئك الزعماء يُحَمِّلُهم مسؤولية دمار الجمع كله، والمقصود بهم كفار قريش جملة[٣٩]، هذا بحسب ما اشتهر من حالهم، وروي عن علي بن أبي طالب قوله [٤٠]: "هُمُ الْأَفْجَرَانِ مِنْ قُرَيْشٍ، بَنُو أُمَيَّةَ وَبَنُو الْمُغِيرَةِ، فَأَمَّا بَنُو الْمُغِيرَةِ فَقَدْ قَطَعَ اللَّهُ دَابِرَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَمَّا بَنُو أُمَيَّةَ فَمُتِّعُوا إِلَى حِينٍ"[٤١]

الاستعطاف وإظهار الضعف

يظهر لنا هذا الغرض في الأخبار التي وردت على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام مخاطباً ربّه: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ

[٣٣] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٤٩١/٤، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: ٢٢٢/١٣

[٣٤] سورة إبراهيم: الآية ٢٦

[٣٥] سورة إبراهيم: الآية ٢٤

[٣٦] ينظر: البغوي، معالم التنزيل: ٣٧/٣، ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ، ٤١١/١، الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م، ٢٩٥/٢

[٣٧] سورة إبراهيم: الآية ٣٠

[٣٨] سورة إبراهيم: الآية ٢٨

[٣٩] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: ٤٤٤/٦

[٤٠] ينظر: الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ١٣٦/٣، وابن عطية، المحرر الوجيز: ٣٣٧/٣، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٣٦٤/٩

[٤١] الأثر رواه الحاكم في مسنده في كتاب التفسير، باب تفسير سورة إبراهيم برقم: ٣٣٤٣، وقال عنه: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)[٤٢] فالغرض من الخبر في قوله: (إني أسكنت من ذريتي ...) الاستعطاف منه لربه، ولا يمكن حمله على فائدة الخبر لأن الله تعالى أعلم بما صنع، ولكنه أراد من هذا الخبر مناشدة الله تعالى والتضرع إليه بإظهار حاجته له، والتمهيد لما سيطلبه في قوله: (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ...) فهو قد ترك زوجته وولده معرضين للهلاك في صحراء قاحلة لا يرتادها أحد، ليقيموا دين الله ويعبدوه، وهما بانتظار رحمة الله ولطفه.

وكذلك جاء الخبر لغرض الاستعطاف وإظهار العجز إضافة إلى غرض الثناء والتعظيم في قوله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم: (إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)[٤٣] ومعنى قول الخليل: ربنا إنك أعلم منا بأحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا، وقيل: إن إبراهيم قصد بـ (ما نعلن) الحوار الذي دار بينه وبين السيدة هاجر عندما ودعها قافلاً[٤٤]، وبـ (ما نخفي) الوجد المتمكن من قلبه بسبب فراقه لهاجر وابنه إسماعيل. وبما أن الله تعالى عالم بكل شيء فلا حاجة لتسمية المطالب الجزئية، وهو ما جعل الخليل يكتفي بتقديم شعائر العبودية بين يدي الله بإظهار ضعفه وعجزه، والافتقار لرحمة الله تعالى، والحاجة لفضله ولطفه في تيسير أمره وتفريج كربته. ثم جاء الخبر الثاني الذي قصد منه إبراهيم عليه السلام الثناء على الله تعالى بأنه علّام الغيوب[٤٥] لا تخفى عليه خافية.

الفرح وإظهار السرور

حينما انتهى إبراهيم عليه السلام من الثناء على الله تعالى انتقل إلى شكره على هباته، فجاء خبره بغرض إظهار الفرح والسرور وتعبيراً عن الشكر (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ)[٤٦] وقد كان فرح سيدنا إبراهيم كبيراً ولا شك، ومتناسباً مع عظم الهبة والعطية، إذ إن الله تعالى قد رزقه إسماعيل وإسحاق بعد طول انتظار وبعد انقطاع الرجاء بالإنجاب كما دلَّ عليه قوله: (على الكبر).

---

[٤٢] سورة إبراهيم: الآية ٣٧

[٤٣] سورة إبراهيم: الآية ٣٨

[٤٤] حين قالت له هاجر عند الوداع: إلى من تكلنا؟ فقال: إلى الله أكلكم، قالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا نخشى. ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٩/١٧

[٤٥] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: ٣٤٣/٣

[٤٦] سورة إبراهيم: الآية ٣٩

العنيف والتوبيخ

نحو ما جاء في قوله: (وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ) حيث ورد للمفسرين في المقصود من قوله: (سكنتم) قولان[٤٧]؛ الأول: من السكون أي الاطمئنان، فيكون المعنى أنكم اطمأننتم إلى الظلم والفساد، وصاحبتم الظالمين لأنفسهم وسرتم سيرتهم بالرغم من أنه تبين لكم ورأيتم في ديارهم آثار العقاب والهلاك الذي نزل بهم[٤٨]. والثاني: من السكنى بمعنى الحلول والمكث، وقد عدي بحرف الظرفية خلافاً لأصل فعله المتعدي بنفسه، والمعنى: أنكم أثناء مسيركم في تجاراتكم حللتم في ديار الظالمين لوقت يكفي للاتعاظ وأخذ العبرة مما وقع بهم، في إشارة إلى واقع كفار قريش في رحلاتهم التجارية إذ كانوا يمرون بديار قوم ثمود في طريقهم إلى الشام، يحطون رحالهم هناك، كما كانوا يمرون على ديار قوم عاد في رحلتهم إلى اليمن[٤٩].

ومن التوبيخ أيضاً ما ورد في قوله تعالى: (وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ) فقوله: (لغني حميد) يتضمن تعظيم الله تعالى وتحقير الكافرين في الوقت نفسه، وقوله: (حميد) توبيخ لهم، حيث إن الله تعالى يتصف بما يوجب له دائماً المحامد كلها لم يزل ولا يزال، فكفركم أيها المغفلون بإله هذه صفاته غاية في التخلف والخذلان، وفيه كذلك تقريع لهم مفاده أن الله تعالى ذو نعم وآلاء عليهم كانت تستوجب منهم الحمد لكنهم كفروا[٥٠]، فكان ذلك منهم ضلالاً ما بعده ضلال.

التحقير وإظهار العجز

ومن أغراض الخبر التي ظهرت في آيات سورة إبراهيم تحقير مكر الكفار، وإظهار عجزهم، في قوله تعالى: (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)[٥١]، حيث بين الله تعالى تشابه أحوال مشركي قريش مع أحوال من سبقهم من الأمم حين مكروا مكرهم وبذلوا كل جهدهم وأفرغوا وسعهم في إبطال الحق وتقرير الباطل، و (وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ) أي مكتوب عند الله فعلهم فهو مجازيهم عليه، وفي قوله:(وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) قال المفسرون: الخبر يحتمل وجهين:

---

[٤٧] ينظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، بحر العلوم، تحقيق: محمد علي العوض، عادل عبد الموجود، زكريا النوتي، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت، ٢٤٧/٢، والزمخشري، الكشاف: ٥٦٥/٢، أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم: ٥٧/٥

[٤٨] ينظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ، ٢٧٤/١٣

[٤٩] ينظر: طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٥٧٥/٧

[٥٠] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: ٣٢٦/٣

[٥١] سورة إبراهيم: الآية ٤٦

الأول: تعظيم لمكرهم[٥٢] وتبييتهم للشر وتدبيره حتى إنه من القوة والصلابة بحيث يؤثر في الجبال مضرب المثل في الثقل والثبات[٥٣]، وأبعد شيء عن تصور الزوال والتزعزع، والمعنى أنه مع ذلك ليس بخاف على الله ولا مجهول؛ بل هو في نطاق علم الله وطوق قدرة الله تعالى (وعند الله مكرهم).

والثاني وهو الأقرب: أنه تعالى أراد بالجبال آياته وشرائعه[٥٤] لأنها من الثبات والتمكن بمنزلة الجبال الراسيات، لا يضرها كيدهم شيئاً وإنما يعود عليهم وبال ما حاكوه من شر وسوء، وهذا على تقدير (إن) نافية واللام في (لتزول) مؤكدة لها[٥٥]، فيكون المعنى: (وما كان مكرهم لتزول منه الجبال) أي ليس من شأن مكرهم أن يؤثر في شرائع الله الراسخة رسوخ الجبال، وعليه يكون الغرض من إلقاء هذا الخبر التحقير من شأن مكرهم وتصغيره وتهوينه، وفضحهم بإظهار عجزهم وفشل تدابيرهم.

أغراض الخبر في خطبة إبليس في أتباعه

يلاحظ الباحث تنوع الأغراض من الأخبار التي وردت على لسان إبليس في جهنم حين وقف خطيباً في أتباعه، فبدأ كلمته باعتراف صريح بحَقِّيَّة وعد الله تعالى قائلاً: إن الله الذي له صفات الكمال قد وعدكم وعداً حقاً، ودعاكم لدينه القويم، وأرسل إليكم رسلاً، وأنزل معهم البينات والبراهين، وبشر من أجاب، وحذر من أبى، وها هو قد صدقكم فوفَّى ما وعد، وأما أنا فأقرّ بنكوب صراطي وزيغ دعوتي، وإخلاف وعدي فقال كما حكاه القرآن الكريم: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ)[٥٦]، فكان الغرض من الخبر الإقرار والاعتراف بالضلال والإضلال، ثم انتقل من الاعتراف إلى التنديم والتوبيخ من خلال التبرؤ من أتباعه وهو الغرض الثاني الذي ظهر في كلامه حين قال: (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ) فهو يلقي باللائمة عليهم فيما حل بهم من العذاب، محاولاً التنصل من المسؤولية، ويحتج على ذلك بأنه لم يكن له عليهم أي تسلط أو حجة تدل على صدقه، إلا ما كان من وسوسة وتزيين للمعصية وتسويل عليها.

---

[٥٢] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل: ٢٠٣/٣

[٥٣] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: ٣٤٦/٣، وسيد قطب، في ظلال القرآن: ٢١١٢/٤

[٥٤] ينظر: الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٣٢٦/٥، وابن عطية، المحرر الوجيز: ٣٤٦/٣، وأبو طالب، مكي حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ٣٨٤٣/٥، الزحيلي، التفسير المنير: ٢٧٥/١٣

[٥٥] ينظر: الزمخشري، الكشاف: ٥٦٥/٢

[٥٦] سورة إبراهيم: الآية ٢٢

ثم ينتقل إلى غرض آخر وهو التيئيس وإظهار الخيبة فيقول: (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) والجملة بيان لجملة النهي عن اللوم " لِأَنَّ لَوْمَهُ فِيهِ تَعْرِيضٌ بِأَنَّهم يَتَطَلَّبُونَ مِنهُ حِيلَةً لِنَجاتِهِمْ، فَنَفى ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ بَعْدَ أنْ نَهاهم عَنْ أنْ يَلُومُوهُ"[٥٧] والإصراخ: الإغاثة، اشتق من الصراخ، لأن المستغيث يصرخ بأعلى صوته[٥٨]، والمعنى: ما أنا بمغيثكم[٥٩] ومخلصكم مما أنتم فيه من العذاب، ولا أنتم بمغيثيَّ مما أنا فيه من العذاب، وفي ذلك إرشاد من الشيطان لأتباعه بأن يكفوا عن انتظار الإغاثة والتخليص منه، لكونه هو نفسه مبتلى بما ابتلوا فيه هم من العذاب، ومن كان هذا شأنه لا يتوقع منه فعل شيء. نظير ما ورد في قول أمية بن أبي الصلت[٦٠]:

فَلا تَجْزَعُوا إِنِّي لَكم غَيْرُ مُصْرِخٍ ولَيْسَ لَكم عِنْدِي غَناءٌ ولا نَفَرُ[٦١]

وتختتم الآية بخبر مفاده: (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قيل[٦٢]: هو من كلام الله تعالى، وقيل[٦٣]: بل هو من تمام خطبة الشيطان، فعلى الأول يكون الغرض منه التهديد والوعيد، وعلى الثاني يظهر أن الله تعالى إنما حكى ما سيقوله إبليس في تلك اللحظة ليكون ذلك المشهد عبرة ولطفاً بالسامعين، وإيقاظاً لهم للنظر إلى عاقبتهم والاستعداد لما لا بدَّ لهم من الوصول إليه[٦٤]، وحثاً لهم على تصور ذلك المقام الذي يعترف فيه الشيطان ويدلي بشهادته، فيكون ذلك أدعى لهم للخوف والعمل على اتقاء ذلك الموقف وتخليص أنفسهم منه.

وكان للرازي مذهب آخر فهو وإن رجح كون التذييل من كلام الله تعالى عاد ليقول: "ولا يَبْعُدُ أيْضًا أنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِن بَقِيَّةِ كَلامِ إبْلِيسَ قَطْعًا لِأطْماعِ أُولَئِكَ الكُفّارِ عَنِ الإعانَةِ والإغاثَةِ. واللَّهُ أعْلَمُ "[٦٥]

---

[٥٧] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير: ٢٢٠/١٣

[٥٨] المصدر السابق.

[٥٩] ينظر: النيسابوري، محمود بن أبي الحسن بن الحسين، إيجاز البيان عن معاني القرآن، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ، ٤٦١، وبيان الحق، محمود بن أبي الحسن، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، جامعة أم القرى – مكة المكرمة حرسها الله تعالى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، ٧٦٣/٢

[٦٠] ينظر: الشوكاني، فتح القدير: ١٢٤/٣

[٦١] ذكره نشوان الحميري في " شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم " دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م، مادة (الإصراخ)

[٦٢] ينظر: النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٧١/٢

[٦٣] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل: ١٩٨/٣

[٦٤] الزمخشري، الكشاف: ٥٥٢/٢

[٦٥] الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: ٨٩/١٩

المبحث الثاني: أضراب الخبر

عرضنا فيما مضى الأغراض التي يلقي لأجلها المتكلم خبره، وعرفنا أن الخبر يخرج أحياناً عن أغراضه الأصلية لأغراض مجازية تفهم من سياق الكلام، وأوردنا لذلك من سورة إبراهيم طائفة من الأمثلة.

ومن المعلوم أن وظيفة علم المعاني بيان مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فهو يرشدنا كيف نراعي المقام الذي نتحدث فيه، ليكون الكلام مناسباً له، لأن للكلام مقامات وأحوالاً تقتضي قوالب معينة وصياغات محددة، فمقام المنكر لحكم الخبر يستدعي صياغة الخبر بشكل مختلف عنه في مقام الشاك المتردد، وهو بدوره يختلف في حال كان المخاطب خالي الذهن، لذا وجب على المتكلم أن يَزِن كلامه، فيلقي به من غير زيادة ولا نقصان.

وقد تنبه العرب إلى ذلك وتقيدوا به في أخبارهم، يشهد له قول عبد القاهر الجرجاني: "واعلمْ أَنّ ممَّا أَغمضَ الطريقَ إِلى معرفَةِ ما نحنُ بصدده، أَنَّ ههنا فروقاً خفيَّةً تَجهلُها العامَّةُ وكثيرٌ من الخاصة، ليس أَنَّهم يَجْهلونَها في موضعٍ ويَعْرِفونها في آخرَ، بل لا يَدْرون أَنها هي، ولا يَعْلمونها في جملةٍ ولا تفْصيل"[٦٦] ثم مثَّل لذلك بما وقع للمبرد مع الكندي[٦٧] الذي سأله قائلاً: إني لأجد في كلام العرب حشواً، فقال له المبرد: في أي موضع وجدت؟ قال: أجد العرب تقول: عبد الله قائم، وإن عبد الله قائم، وإن عبد الله لقائم، فالمعنى واحد رغم الألفاظ المتكررة، فرد عليه المبرد: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم عبد الله قائم إخبار عن قيامه، وقولهم: إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني[٦٨].

وبناء على كلام المبرد قسم أهل البلاغة الخبر من حيث تأكيده وعدم تأكيده إلى ثلاثة أقسام أطلقوا عليها (أضراب الخبر) وهي:

---

[٦٦] الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة، ٣١٥

[٦٧] هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح، كان رأساً في المنطق اليوناني والهيئة والتنجيم والطب، كان يقال له: فيلسوف العرب، قال عنه الذهبي: "كان متهما في دينه، بخيلا، ساقط المروءة . همَّ بأن يعمل شيئا مثل القرآن، فبعد أيام أذعن بالعجز". سير أعلام النبلاء: ٣٣٧/١٢، وينظر: العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، لسان الميزان، المحقق: دائرة المعرف النظامية — الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ٣٠٥/٦

[٦٨] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٣١٥

الخبر الابتدائي[٦٩]

ويراد به إلقاء الخبر خالياً من أدوات التوكيد، ويلجأ إليه عندما يكون المخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر ليستقر في ذهن المخاطب ويتمكن من نفسه تحقيقاً لقول الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا[٧٠]

ومن أمثلة هذا الضرب قوله تعالى حكاية عن قول سيدنا إبراهيم: (قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا)[٧١] فالخبر ألقي من سيدنا إبراهيم عليه السلام لقومه دون مؤكدات نظراً منه لحالهم في عدم التردد والإنكار في بداية الأمر، لأن تمحيص ذلك الخبر واختباره استدعى منهم الرجوع إلى نفوسهم والاحتكام إلى عقولهم كما قال تعالى: (فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ)[٧٢] فأذهانهم كانت شاغرة عما جاء به الخبر أول الأمر لذا لم يصادف لديهم اعتراضاً ولم يحتج إلى تأكيد.

ومن الضرب الابتدائي أيضاً الخبر الوارد في قوله تعالى: (الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) فالآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، تضمنت حكماً يبين الحكمة من إنزال القرآن الكريم ويوضح وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو –النبي صلى الله عليه وسلم – لا شك خالي الذهن منه غير متردد فيه ولا منكر، لذا جاء الخبر ابتدائياً مستغنياً عن المؤكدات.

الخبر الطلبي[٧٣]

ويكون حينما يدخل الشك نفس المخاطب ويتردد في قبول الحكم الذي يتضمنه الخبر، حاله كحال طالب يسأل صحة الخبر، مما يستدعي تأكيد الخبر وتقويته، فيحسن عندها أن يؤتى بالجملة الخبرية مقترنة بما يؤكد صحة الخبر، ويكون مقدار التأكيد مناسباً لحجم التشكيك، فكلما زادت نسبة التشكيك حسن زيادة عدد المؤكدات المزيلة لها.

ومثال هذا النوع في سورة إبراهيم قوله تعالى: (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ)[٧٤] فالخبر في قوله: (وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) يأتي في سياق تصوير مشهد العذاب الذي ينتظر الجبار العنيد،

---

[٦٩] ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: ١٧٠، التفتازاني: المطول شرح تلخيص المفتاح: ١٨٤، والجارم، علي، وأمين، مصطفى، البلاغة الواضحة، مكتبة البشرى، كراتشي– باكستان، ١٤٤، وعتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ٥٢

[٧٠] البيت بلا نسبة في مفتاح العلوم: ١٧٠، وهو لقيس بن الملوح مجنون ليلى في روح المعاني: ٤٢/١

[٧١] سورة الأنبياء: الآية ٦٣

[٧٢] سورة الأنبياء: الآية ٦٥

[٧٣] ينظر: السبكي، عروس الأفراح: ١٢٠/١، عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح: ٤٣/١، حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة: ١٣/٢

[٧٤] سورة إبراهيم: الآية ١٧

ومعنى قوله تعالى: (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ): تتألب عليه أسباب الموت وأصناف العذاب كلها، وتحيط به من كل جانب، وتدخل عليه من كل عضو من أعضائه "حتى من أصول شعره وإبهام رجله"[٧٥]. ولما كان من شأن هذه الغلظة من العذاب أن تزهق نفس الإنسان وتقضي عليه وفق سنن الحياة الدنيا ونواميسها، وأعقبه خبر آخر (وما هو بميت) نبّه به الباري عز وجل على أنه لا يقضى على الكافر رغم شدة العذاب ولا يموت فيستريح، أثار هذا الخبر الأخير حيرة في نفس السامع وتردداً في قبوله، فاقتضى الأمر تأكيد الجملة بإحدى أدوات التأكيد، وهي هنا الباء الزائدة التي دخلت على الخبر في قوله (بميت) لغرض تمكين الخبر في ذهن المخاطب وإزالة الشكوك عنه.

ومن الخبر الطلبي كذلك ما ورد في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ)[٧٦] إذ يبرهن الله تعالى على قدرته على إيجاد المعدوم وإعدام الموجود، بأن من خلق السموات على ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها من كواكب وأجرام، والأرض بما فيها من مهاد وأوتاد وبراري وقفار هو قادر على إفنائكم أيها المعاندون والاستبدال بكم[٧٧]، فلما ذكر (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) تطلب الخبر تأكيداً يزيل التردد الحاصل عند المخاطب في قبول هذا الخبر، ويستجيب لتشوفه إلى تقريره، فجاء بقوله: (وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) الذي تضمن خبراً مؤكداً بالباء الزائدة في (بعزيز) لترسيخ الحكم وتقويته.

ومن الخبر الذي ورد طلبياً في السورة الكريمة قوله تعالى: (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۗ **إِنَّ** اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ)[٧٨]، وقوله تعالى: (لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ **إِنَّ** اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[٧٩]، وكذلك التوكيد في قوله تعالى حكاية عن أهل النار: (**إِنَّا** كُنَّا لَكم تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنّا مِن عَذابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ)[٨٠]

---

[٧٥] البيضاوي، أنوار التنزيل: ١٩٦/٣، وينظر: الخطيب الشربيني، السراج المنير ١٧٥/٢

[٧٦] سورة إبراهيم: الآيتان ١٩، ٢٠

[٧٧] ينظر: الزمخشري، الكشاف: ٥٤٧/٢، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٤٨٧/٤

[٧٨] سورة إبراهيم: الآية ٤٧

[٧٩] سورة إبراهيم: الآية ٥١

[٨٠] سورة إبراهيم: الآية ٢١

الخبر الإنكاري[٨١]

ويلقيه المتكلم حينما يكون المخاطب منكراً للحكم الذي يتضمنه الخبر، معتقداً خلافه، وعندها يجب تأكيد الخبر بمؤكدين أو أكثر على حسب إنكار المخاطب قوة وضعفاً، وجدير بالذكر ان التأكيد كما يكون في الإثبات يكون في النفي أيضاً.

ومن أمثلة هذا النوع في سورة إبراهيم قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)[٨٢] فقد جاء الخبر مؤكداً بعدة مؤكدات هي: إن، واللام المزحلقة الداخلة على اسم (إن)، وصيغتا المبالغة في فعَّال (صبار)، وفعول (شكور)، ولا شك أن ما تضمنه الخبر من حكم هو موضع إنكار عند جميع المشركين، سيما وأن الخبر يشير إلى الآية السابقة عليه[٨٣] التي يأمر فيها الله تبارك وتعالى نبيه موسى أن يذكر قومه بـ (أيام الله) المتضمنة آلاءه في إنجائهم من بطش فرعون وزبانيته، وفلق البحر لهم وتظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم، ونقمه التي أحلها بالأمم الكافرة قبلهم على سبيل الترغيب والترهيب، فكان قوله: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) تذييلاً يعني: إن في ذلك التنبيه والتذكير أو في أيام الله دلائل لمن اتصف بالصبر والشكر، لأن " الحالَ إمّا أنْ يَكُونَ حالَ مِحْنَةٍ وبَلِيَّةٍ أوْ حالَ مِنحَةٍ وعَطِيَّةٍ، فَإنْ كانَ الأوَّلَ كانَ المُؤْمِنُ صَبّارًا، وإنْ كانَ الثّانِيَ كانَ شَكُورًا"[٨٤].

ولكن لقائل أن يقول: إن ما ذكر يصلح أن يكون آيات لكل مؤمن فلما خص الصبار الشكور؟

يجيبنا الفخر الرازي على ذلك بوجهين[٨٥]:

الأول: لما كان الصبار الشكور أكثر المنتفعين بهذه الدلائل، صارت الآيات كأنها ليست إلا لهذا النوع، نظير ما في قوله تعالى: (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)[٨٦]، وقوله: (إنما أنت منذر من يخشاها)[٨٧]

الثاني: إن الانتفاع بهذا التذكير لا يحصل إلا لمن اتصف بهاتين الصفتين، أما الذي لا يكون كذلك فهو محروم على عينه عشاوة عن هذه الآيات.

ومن الضرب الإنكاري كذلك الخبر في قوله تعالى: (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)[٨٨]

---

[٨١] ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: ١٧١، شرف الدين الطيبي، لطائف التبيان في علمي المعاني والبيان: ٥٩، عبد الرحمن حبنكة، البلاغة العربية: ١٧٩/١

[٨٢] سورة إبراهيم: الآية ٥

[٨٣] في قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (إبراهيم: ٥)

[٨٤] الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: ٦٥/١٩

[٨٥] ينظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: ٦٥/١٩

[٨٦] سورة البقرة: الآية ٢

[٨٧] سورة النازعات: ٤٥

[٨٨] سورة إبراهيم: الآية ٣٤

وقد قيل في تفسير ظلوم أنه يظلم النعمة بترك شكرها، أو يضعها في غير موضعها، أو أنه ظالم لنفسه بتعريضها للحرمان، وقيل: إنه ظلوم حين يظن أن شكره يقابل نعم الله تعالى[٨٩]، و(كفار) ساتر لتلك النعم جاحد لها ومنكر، وقد أورد الله تعالى الخبر مؤكداً بأربع مؤكدات[٩٠]: إن، واللام المزحلقة في (لظلوم) إضافة لصيغتي المبالغة فعول وفعَّال. وجاء إنكارياً لمخالفته اعتقاد المخاطبين من المشركين المتصفين بما تضمنه الخبر من صفتي الظلم والكفران.

ويلاحظ أن الآية ختمت هنا بقوله: (إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) فيما جاءت في سورة النحل[٩١] مختتمة بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) فما الفرق بين الخاتمتين؟ ولماذا اختلفتا رغم انهما تذييل للكلام نفسه وهو قوله تعالى: (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا)؟

يجيبنا عن ذلك سياق الآيتين، فلما كان الحديث هنا عن قبائح الإنسان من كفران للنعمة وجحود لها وظلم لنفسه بدأ بقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا) ثم قوله: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) وغيرها من القبائح، ناسبها التذييل بقوله: (إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)، أما سياق آية النحل فكان عن تعداد فضائل الله تعالى على الإنسان[٩٢]، وبعد أن أطنب في ذكرها حسن التذييل بوصف الله تعالى بالمغفرة والرحمة حضاً للناس وتحريضاً لهم على الرجوع إليه تعالى[٩٣].

ومن أمثلة الخبر الإنكاري أيضاً ما ورد في قوله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)[٩٤] حيث جاء الخبر في قوله: (إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) مؤكداً بـ (إنَّ) ولام المزحلقة الداخلة على خبرها إضافة إلى اسمية الجملة[٩٥].

---

[٨٩] ينظر: الألوسي، روح المعاني: ٢١٩/٧

[٩٠] ينظر: قاسم–حميدان — دعاس، إعراب القرآن الكريم: ١٣٣/٢، ودرويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص — سورية، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ، ١٩٦/٥

[٩١] سورة النحل: الآية ١٦

[٩٢] سياق الآية هو قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۚ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨))

[٩٣] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: ٤٤١/٦

[٩٤] سورة إبراهيم: الآية ٧

[٩٥] ينظر: الصافي، محمود بن عبد الرحيم، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ، ١٥٩/١٣

وللعلماء في جملة (إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) قولان[٩٦]:

الأول: إنها خبر سد مسد جوابي القسم والشرط في قوله: (ولئن كفرتم) بمعنى: لئن كفرتم وجحدتم إنعامي عليكم فإن عذابي شديد، ولا بدَّ أن يصيبكم منه ما يصيبكم، وقد جاء الخبر تعريضاً، وهذا أسلوب رفيع للقرآن الكريم، إذ من عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد.

الثاني: إن جملة جواب (ولئن كفرتم) محذوفة تقديرها (لأعذبنكم) والخبر في قوله: (إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) جاء تعليلاً لها، وقد احتاج الخبر للتأكيد كونه موجهاً لمن ينكره ولا يعبأ به، بل ولا يعتقده أصلاً.

ونجد الخبر إنكارياً كذلك في قوله تعالى: (وقالَ مُوسى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ ومَن في الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حُمَيْدٌ)[٩٧] فبعد أن بيَّن سيدنا موسى عليه السلام أن الاشتغال بشكر النعم يوجب تكاثرها وزيادتها، وأن التلبس بجحودها يستوجب العذاب الشديد، عاد هنا لينبه على أمر قد يخامر قلب الكافر، ويداخل نفسه فيذهب به إلى الاعتقاد بأنه إنما يحسن إلى الله بإيمانه، وأن أنبياء الله حين يلحون عليه ويرجون توبته إنما يريدون بذلك تقوية دينهم وتعزيز جانبهم حرصاً منهم على مصلحتهم، فلما وعد الله الشاكرين بالزيادة والكافرين بالعقوبة " خَشِيَ أَنْ يَحْسَبُوا ذَلِكَ لِانْتِقامِ المثيبِ بِما أثابَ عَلَيْهِ، ولِتَضَرُّرِهِ مِمّا عاقَبَ عَلَيْهِ، فَنَبَّهَهم إلى هَذا الخاطِرِ الشَّيْطانِيِّ حَتّى لا يَسْرِيَ إلى نُفُوسِهِمْ فَيُكْسِبَهم إدْلالًا بِالإيمانِ والشُّكْرِ والإقْلاعِ عَنِ الكُفْرِ"[٩٨] فجاء قوله: (فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حُمَيْدٌ) ليؤكد أن منافع الشكر لا تعود إلا على الشاكر، ومضار الكفر لا تعود إلا على الكافر، وأن الله تعالى غني: وهو الذي لا حاجة له في شيء. ويدخل في عموم غناه أنه غني عن الذين يكفرون، وأنه حميد: محمود من غيرهم مستغن عن حمدهم، وأنهم حامدون له بلسان حالهم كرهاً وإن لم تنطق به ألسنتهم.

وكما نلاحظ فإن الخبر جاء مؤكداً بـ (إن)، واللام المزحلقة إضافة إلى اسمية الجملة، والذي استدعى تأكيده أن الكافرين المخاطبين كانوا يعتقدون خلاف مضمون الخبر كما ذكرنا.

ومن الضرب الإنكاري ما جاء على لسان الأقوام البائدة قوم نوح وعاد وثمود حين سعى رسلهم في هدايتهم بالإقناع من خلال الحوار بالحجج والبراهين والبينات، فجاءهم الجواب ضمن خبر إنكاري مؤكد يقطع جميع سبل التفاهم، وينهي كل أشكال الحوار، ويقضي على أدنى رجاء وأمل في هدايتهم حين قالوا: (إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ)[٩٩] ونلاحظ أنهم أكدوا الخبر بمؤكدات متعددة ومتنوعة ليقطعوا رجاء الرسل، ويقنطوهم من التصديق، فصدروا الجواب بـ (إنّ) ، ثم أوردوا فعل الكفر بصيغة الماضي (إنا كفرنا) تحقيقاً لوقوعه، وسموا ما كفروا به (مرسلاً به) رغم كفرهم به على سبيل التهكم والاستهزاء نظير ما ورد في قوله

[٩٦] ينظر: الألوسي، روح المعاني: ١٨١/٧

[٩٧] سورة إبراهيم: الآية ٨

[٩٨] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٩٤/١٣

[٩٩] سورة إبراهيم: الآية ٩

تعالى: (وقالُوا يا أيُّها الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)[١٠٠]، ثم كرروا (إنَّ) مع اللام المزحلقة الداخلة على خبرها، ثم أكدوا شكهم بإيراد مرادفه (مريب) تحقيقاً له وتقريراً لماهيته نحو قول العرب: ليلٌ أليلٌ، وشعرٌ شاعرٌ[١٠١].

وقد يثير مجيء الشك بعد التصريح بالكفر تساؤلاً إذا علمنا أن الشك يعني "الوقوف بين الضدين دون ترجيح بينهما"[١٠٢]، فما فائدة قولهم: (وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ) وهم قد صدعوا بالكفر ولم يتركوا فسحة للمراجعة والتفكير حين قالوا: (إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ)؟

أجاب عن ذلك الطاهر بن عاشور بما مفاده[١٠٣]: أن كفرهم كان موجهاً إلى نسبة دعوة الرسل إلى الله تعالى، وأما الشك فمتعلق بصحة ما يدعونهم إليه وصلاحيته، إذ هو قابل عندهم للنظر والتمحيص لتمييز صحيحه من سقيمه، وكأن مرادهم: أنكم أيها الرسل وإن كنتم كاذبين في دعوى الرسالة والنبوة، فقد يكون بعض ما تدعون إليه حقاً لأن الكاذب لا يعدم صدقه أحياناً.

وكذلك جاء الخبر إنكارياً في قوله تعالى: (لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ)[١٠٤] وعداً للرسل ومن اتبعهم في وجه الظالمين الذين توعدوهم بإخراجهم من ديارهم إن لم يتركوا دينهم ويعودوا إلى ملة الكفر، فأكد الباري عز وجل الخبر بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة في قوله: (لَنُهْلِكَنَّ)، وقوله: (وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ) رداً على تلك الفئة المتجبرة التي ظنت نفسها قادرة على تنفيذ وعيدها ومس الرسل والمؤمنين بسوء. فجاء التأكيد في وعد الله تعالى المؤمنين ووعيده للظالمين لئلَّا يكون أضعف من تهديد الكافرين الذين أكدوا كلامهم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا)[١٠٥] وقد جاء الخبر في كلامهم إنكارياً كذلك رداً على اعتصام الرسل بالله تعالى وعزمهم التوكل عليه وإظهارهم الصبر في مقابل أذى الظالمين (وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)[١٠٦]

وأخيراً يظهر للمتأمل في السورة الكريمة كثرة ورود الخبر موشحاً بثوبه الإنكاري، وهو- بحسب رأي الباحث – أمر طبيعي اقتضته ضرورة مجيء الكلام مطابقاً لمقتضى الحال ومناسبته لجو السورة العام من حيث الموضوعات التي تناولتها والقضايا التي عالجتها، فهي من السور التي نزلت بمكة وتضمنت ركائز العقيدة الإسلامية وسعت

---

[١٠٠] سورة الحجر: الآية ٦

[١٠١] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: ١٣/١٩٨

[١٠٢] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٠/ ٣٩٠

[١٠٣] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: ١٣/١٩٨

[١٠٤] سورة إبراهيم: الآيتان ١٣، ١٤

[١٠٥] سورة إبراهيم: الآية ١٣

[١٠٦] سورة إبراهيم: الآية ١٢

إلى تثبيتها وترسيخا، ولما كانت الحقائق التي انطوت عليها هذه العقيدة موضوع إنكار وجحود، ومحور جدل طويل مع المشركين، استدعت البلاغة إلقاء الخبر الحامل لها مؤكداً بالضرب الإنكاري ليناسب حال المخاطب ومقام الحديث.

المبحث الثالث: خروج الخبر على مقتضى الظاهر

قد يجري المتكلم خبره على خلاف الظاهر من حال المخاطب، فلا يعتد في صياغته بما سبق من الأحوال، وإنما يجريه على أمور اعتبارية تنزيلية يلحظها هو، ويعتبرها مقامات يصوغ عبارته وفق مقتضاها، وذلك في مواطن دقيقة لا يهتدى إليها إلا بعد طول نظر وتأمل، منها:

تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد

ويكون ذلك عندما تتضمن الجمل السابقة على الخبر إشارات أو أيماء يثير في نفس السامع تساؤلاً فيأتي الخبر مؤكداً ليجيب عن هذا التساؤل ويواجه التردد الحاصل في ذهن المخاطب[١٠٧] نحو قوله تعالى: (قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ)[١٠٨] فإن أمر الباري عز وجل الكافرين بالتمتع والتنعم بالشهوات وملذات الحياة الدنيا بعد قوله تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ)[١٠٩] أثار في نفس المتلقي تساؤلاً عن سبب ذلك، إذ كيف يؤمر من جعل لله شركاء أن يستمر في غيه ويسترسل في ضلاله بالتمتع بالشهوات، فجاء الخبر في قوله تعالى: (فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) جواباً عن هذا التساؤل وأكد بـ (إن) لرفع الشك الذي يدفع المخاطب للتردد في قبول هذا التعليل.

ومنه الخبر الوارد في قوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ)[١١٠] خطاب لكل من توهم أن تأخير العذاب عن المجرمين مع توافر أسبابه إهمال من الله تعالى وغفلة، أو هو خطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم مراد به تثبيته على ما هو عليه من عدم حسبانه الغفلة في حق الله تعالى، وهذا الخطاب جار على سبيل التسلية للمظلوم والتهديد للظالم.

وقد أكد البيان الإلهي الخبر بـ (إنما) ليقع موقع الجواب المؤكد عن تساؤل قد يثيره في ذهن المخاطب قوله تعالى أولاً (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) ويولد عنده تشوفاً إلى معرفة سبب النهي عن الحسبان، فورد الخبر مؤكداً تنزيلاً للمتلقي منزلة السامع المتردد في قبول الجواب.

---

[١٠٧] أبو يعقوب المغربي، مواهب الفتاح (ضمن شروح تلخيص المفتاح): ٢١٠/١، والصعيدي، بغية الإيضاح: ٤٥/١، والهاشمي، جواهر البلاغة: ٥٨

[١٠٨] سورة إبراهيم: الآية ٣٠

[١٠٩] سورة إبراهيم: الآية ٣٠

[١١٠] سورة إبراهيم: الآية ٤٢

ونظير ما سبق تأكيد الخبر في قوله تعالى: (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ)[١١١] أُكِّد فيه الخبر بـ (إن) في جواب تساؤل نشأ عن النهي في قوله: (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ...) مفاده: أن موجب إخلاف الوعد له احتمالان إما العجز أو عدم اعتياد الموعود له، وكلاهما منتف عن الله تعالى، الأول لكونه عزيزاً قادراً على كل شيء، الثاني لكونه صاحب انتقام[١١٢].

تنزيل منكر الخبر منزلة غير المنكر

ومن ضروب الخروج على مقتضى الظاهر تنزيل منكر الخبر منزلة غير المنكر لعدم الاعتداد بإنكاره، وافتقاره للدليل المقنع، فلو أنه أنصف ونظر نظرة متأنية لعدل عن إنكاره وعاد لرشده[١١٣]. نحو قوله تعالى: (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)[١١٤] فإن الآية الكريمة تضمنت خبراً عظيماً يفيد أن كل ما في السماوات والأرض من ناطق وصامت كالجبال والبحار والحيوان والنبات يدين لله تعالى ويسبحه ويعبده، متضمناً –لا شك – ما يزلزل النفس ويرجها، ولكن الملاحظ أن النظم الحكيم قد ساق الخبر دون توكيد أو احتفال رغم كونه منكوراً عند الجاحدين[١١٥].

ومن شواهده في سورة إبراهيم ما نراه من أخبار متوالية تتضمن أسَّ نظام الكون وأساس الخلاف بين الأنبياء والكافرين من أقوامهم جاءت في هدوء تام دون احتفال أو توكيد (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ)[١١٦] إذ حكم الخبر بمالكية الله تعالى للكون وحاكميته عليه، وأن كل ما ينال الناس مؤمنهم وكافرهم من الخير والنعم هو تفضل من الله تعالى يستوجب الشكر، وهي قضايا طال حولها جدال الرسل مع المنكرين ولا يزال يدور حولها النظر وتجهد فيها العقول وينكرها المنكرون.

ولكن الملفِت للباحث أن الحكيم آثر الترفع عن جهالة المنكرين، فلم يلتفت إلى إنكارهم ولم يعبأ به، لأن الكون كله لسان ناطق ودليل شاهد على قوله، وهل بعد الكون من شاهد! وساق الخبر بأسلوب الواثق كما يساق إلى النفس الخالية الذهن بنبرة خافتة هامساً بالحقيقة بعيداً عن صخب المؤكدات وجلجلتها.

---

[١١١] سورة إبراهيم: الآية ٤٧

[١١٢] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: ٢٥٢/١٣

[١١٣] ينظر: السبكي، عروس الأفراح: ١٢٣/١، عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح: ٤٧/١، عيسى العاكوب، المفصل في البلاغة العربية: ٨٧

[١١٤] سورة الجمعة: الآية: ١

[١١٥] ينظر: أبو موسى، محمد محمد، خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة، خصائص التراكيب، ٨٧

[١١٦] سورة إبراهيم: الآيات ٣٢، ٣٣، ٣٤

ومنه كذلك قوله تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ)[١١٧] إخبار من الله تعالى عن أمر عظيم يتعلق بمصير الإنسان وعاقبته، وهو أن الله تعالى يثبت المؤمنين به ويلقنهم حجتهم في موقف تتلعثم فيه الأفواه وتنعقد الألسن، ويتخلى عن الظالمين فيجعلهم في حيرة وارتباك. وهو كما ترى أمر في غاية الأهمية والخطورة لتعلقه بنجاة الإنسان وهلاكه، ويستلزم التوثيق والتأكيد، لكن البيان الإلهي أورده ابتدائياً مستغنياً عن أدوات التأكيد رغم أنه موضع إنكار الكافرين، في إشارة إلى عدم اعتباره واعتداده بإنكار المنكرين.

تنزيل غير المنكر منزلة المنكر

ويكون عند ظهور أمارات الإنكار على المخاطب فيستدعي ذلك خروجاً على الظاهر مراعاة لتلك العلامات[١١٨]، ويحسن مخاطبته بأسلوب التوكيد أثناء توجيه الخبر إليه، ويستشهد البلاغيون لهذه اللون من الخبر ببيت لحجل بن نضلة الباهلي[١١٩] يقول فيه مخاطباً ابن عمه:

جَاء شَقيقٌ عَارضاً رُمْحَهُ إنَّ بَنِي عَمكَ فِيهِمْ رِماحْ[١٢٠]

فالشاعر حينما رأي شقيقاً قد أقبل بهيئة تظهر عدم اكتراثه بالقوم، واضعاً رمحه على فخذيه عرضاً، عدَّ ذلك استخفافاً منه بقبيلة الشاعر، وعامله معاملة المنكر لقوتهم وسلاحهم بسبب هيئته الدالة على ذلك، وإن كان شقيق غير منكر لذلك حقيقة. فقال له: (إنَّ بَنِي عَمكَ فِيهِمْ رِماحْ) مؤكداً الخبر بـ إن.

وفي سورة إبراهيم أمثلة لذلك منها تأكيد الخبر في قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)[١٢١] فالآية جاءت رداً على المستغربين والطاعنين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، بمعنى: لست يا محمد بدعاً من الرسل، وليس ما جئت به خروجاً على سنة الله تعالى مع خلقه بإرسال الرسل والكتب السماوية الهادية للناس، والدالة لهم على طرق الحق والخير، فقد أرسلنا من قبلك موسى أيضاً وجاء قومه بما جئت به قومك. وذِكْرُ موسى ورسالته هنا ردٌّ بالتمثيل بالنظير، وقد أكد النظم الحكيم خبره عن نبوة موسى ورسالته بمؤكدين: لام القسم، وحرف التحقيق (قد) فقال: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا) رغم أن القوم لا ينكرون ذلك وإنما ينكرون رسالة محمد صلى الله عليه

---

[١١٧] سورة إبراهيم: الآية ٢٧

[١١٨] ينظر: التفتازاني، المطول شرح تلخيص المفتاح: ١٨٨، محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب: ٩٠

[١١٩] هو شاعر جاهلي، ورد أنه أسر (النَّوار) بنت عمرو ابن كلثوم، يوم (طلح) وفر بها في الفلاة خوفاً من أن يلحق به، وله في ذلك شعر مطلعه:

حنّت نوار ولات هنّا حنّت ... وبدا الّذى كانت نوار أجنت

لما رأت ماء السّلا مشروبا ... والفرث يعصر في الإناء أرنّت

ينظر: ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء: ٩٧/١، والبغدادي، خزانة الأدب: ٢٠٠/٤، والزركلي، الأعلام:١٧٠/٢

[١٢٠] البيت ذكره الجاحظ في "البيان والتبيين": ٢٢٢/٣، والسكاكي في "مفتاح العلوم": ١٧٤

[١٢١] سورة إبراهيم: الآية ٥

وسلم، تنزيلاً لهم منزلة المنكرين رسالة موسى أيضاً، لأن حالهم في التكذيب برسالة محمد يقتضي ذلك، من باب أن ما جاز على المثل يجوز على المثيل[١٢٢]، فمصدر الرسالات واحد وغايتها واحدة، وواجب الناس أن يؤمنوا بها جميعها دون تفريق.

ومنه قوله تعالى حكاية عن قول الشيطان مخاطباً أشياعه في خطبته: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ **إِنَّ اللَّهَ** وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ)[١٢٣] فأتى بالخبر مؤكداً (إن الله) رغم أن المخاطبين وهم أتباعه لا ينكرون حقية وعد الله تعالى في ذلك الموقف الذي ينجلي فيه كل شيء بدليل قوله تعالى: (لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ)، ولكنه جاء بالخبر مؤكداً استصحاباً لما كانوا عليه من الإنكار والتكذيب، وتذكيراً لهم على سبيل التوبيخ والتنديم. وأما الخبر المتعلق بوعده الباطل (وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ) فجاء ابتدائياً مستغنياً بحالهم ومآلهم عن التأكيد، إذ لو لم يخلفهم لما اجتمعوا معه في هذا الموقف المهين.

التعبير عن انفعالات المتكلم وخلجات نفسه

وهناك ضرب من التوكيد لا ينظر فيه إلى حال المخاطب من حيث التردد أو الإنكار، وإنما ينظر فيه المتكلم إلى حال نفسه، ومدى انفعاله بالحكم الذي تضمنه الخبر، وحرصه على إذاعته وتقريره في نفس المخاطب بالشكل الذي ترسخ به في ذهنه ووجدانه، وهذا اللون كثير وله مذاقات حسنة[١٢٤] مثاله قول الله تعالى واصفاً خداع المنافقين وإضمارهم الكفر: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)[١٢٥] فقد أكد المنافقون انتماءهم لشياطينهم (إنا معكم...) في حين خلا ادعاؤهم الإيمان من أي مؤكد وجاء الخبر ابتدائياً (قالوا آمنا)، ولاشك أن هذا الاختلاف يعود إلى الحالة النفسية للمتكلمين، إذ يعبر عن ضعف اعتقادهم وإيمانهم في مقابل شكهم وكفرهم يقول الزمخشري عن ذلك: "فإن قلت: لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية، وشياطينهم بالاسمية محققة بإن؟ قلت: ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرًا بأقوى الكلامين وأوكدهما؛ لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان منهم، ونشئه من قبلهم لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم، وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه، إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك، وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد، وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة، وكيف يقولون ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار"[١٢٦]

---

[١٢٢] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: ١٨٩/١٣

[١٢٣] سورة إبراهيم: الآية ٢٢

[١٢٤] أبو موسى، خصائص التراكيب: ٩١

[١٢٥] سورة البقرة: الآية ١٤

[١٢٦] الزمخشري، الكشاف: ٦٦/١

ومن هذا الضرب التوكيد في قول سيدنا إبراهيم عليه السلام متضرعاً إلى الله تعالى: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ)[١٢٧]، وقوله: (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)[١٢٨] فلا يمكن القول إن الخليل جاء بالخبر مراعياً حال المخاطب لأن المخاطب هنا هو الله جل جلاله، وإنما جاء التأكيد بالنظر إلى حال المتكلم – سيدنا إبراهيم عليه السلام – تصويراً لحال نفسه الراجية ومدى انفعالها بهذا الرجاء وتأكيدها للدعاء، فهو يؤكد لوعة قلبه على فراق زوجه وولده وما يعتلج بين جوانحه من مشاعر العبودية الخاصة لله التي تدفعه للتوكل عليه والثقة بعطائه وفرجه، وهو في الآية الثانية كذلك يقرر هذه المشاعر بمؤكدين: (إنَّ) و(من) الزائدة التي تفيد تقوية المعنى، ليؤكد ضعفه أمام قدرة الله تعالى المحيط بكل شيء علماً وافتقاره الدائم إلى عونه وإحسانه.

وهو يخاطب ربه في آية أخرى مؤكداً مشاعر الأسف والحزن التي تعصف به على أولئك المغفلين الذين وقعوا في شراك الأصنام وضلالاتها فيناجي ربه: (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[١٢٩] فجاء بالخبر مؤكداً بـ (إن) ليعبر عن حسه القوي بالشفقة والحسرة عليهم، فكان التوكيد لتوثيق الحالة الوجدانية للمتكلم وتقريرها بأقوى تعبير.

الخاتمة

ظهر للباحث في نهاية هذا البحث

١. كثر خروج الخبر في سورة إبراهيم على غرضيه الأساسيين: فائدة الخبر ولازم الفائدة إلى أغراض بلاغية متنوعة ليواكب أحداث السورة ويكون منسجماً مع الموضوعات التي تناولتها، فورد متضمناً غرض الامتنان والتفضل في مشهد إنزال القرآن الكريم هادي الناس إلى الحق ومنقذهم من الضلال، وعند الحديث عن نعم الله وآلائه على البشر.

٢. لاحظ الباحث تغير المعنى البلاغي المراد بالخبر مع انتقال البيان الإلهي إلى الحديث عن الظالمين والضالين فجاء لغرض التنبيه والتهديد أولاً ثم ما لبث أن اشتد مواكباً مشاهد العذاب التي راحت السورة تصورها وتصفها فخرج إلى معنى التهديد والوعيد حيناً والتعنيف والتوبيخ أخرى.

٣. كان لمناجاة سيدنا إبراهيم ربه والأخبار الواردة على لسانه أثراً واضحاً في تليين الخطاب وتخفيف حدته وخفض نبرته حين ألقت على السورة ظلالاً من الروحانية مع غرضي الاستعطاف وإظهار الضعف اللذين ظهرا في دعاء الخليل ربه أن يوجه أفئدة من الناس نحو ذريته التي تركها حيث أمره الله، ويوفر لهم أسباب الرزق،

[١٢٧] سورة إبراهيم: الآية ٣٧

[١٢٨] سورة إبراهيم: الآية ٣٨

[١٢٩] سورة إبراهيم: الآية ٣٦

وأرخت على المشهد كذلك مسحة من السكن مع غرض السرور والبهجة الذي برز في طيات خبر الخليل كذلك معبراً عن ثنائه وشكره لله تعالى الذي وهبه إسماعيل وإسحاق رغم كبر سنه وانقطاع رجائه.

٤. أجاد البيان الإلهي في نقل خطبة إبليس في أتباعه حين ساقها بأسلوب خبري بالغ التأثير يحقق الهدف المراد من عرضها على المخاطبين، فصور لنا إبليس بعد الفراغ من الحساب واقفاً في أتباعه نذير شؤم وخطيب نحس ملقياً جملة من الأخبار تحمل معاني بلاغية بعيدة عن الغرض الأصلي للخبر، بدأها بالاعتراف بالضلال والإضلال، ثم التنديم والتوبيخ الذي ظهر مع التبرؤ منهم والتنكر لهم ونفي أي مسؤولية له تجاههم، قبل أن تخيم على الخبر سحابة من التيئيس ملقياً في نفوسهم القنوط من الخلاص والخيبة من النجاة.

٥. ورد الخبر في السورة متضمناً أغراضاً بلاغية أخرى إضافة إلى ما ذكرنا، كالذم في المثال الذي ساقه البيان الإلهي مشبهاً كلمة الكفر بالشجرة الخبيثة التي حقها الاستئصال والاجتثاث، وعند الحديث عن دور زعماء قريش في إفساد قومهم وإحلالهم جهنم دار الشقاء والبوار. وكغرض التحفيز وتحريك همة المؤمنين الذي ورد في الأخبار التي وصفت نعيم الجنة تشجعاً لهم على مزيد من الطاعات والمسارعة في الخيرات.

٦. أكثر ما ورود الخبر في السورة موشحاً بثوبه الإنكاري، وهو- بحسب رأي الباحث – أمر طبيعي اقتضته ضرورة مجيء الكلام مطابقاً لمقتضى الحال ومناسبته لجو السورة العام من حيث الموضوعات والحقائق التي ما برحت تؤكدها وتسعى لترسيخها، ولما كانت هذه الحقائق موضوع إنكار وجحود، ومحور جدل طويل مع المشركين، استدعت البلاغة إلقاء الخبر الحامل لها مؤكداً بالضرب الإنكاري ليناسب حال المخاطب ومقام الكلام.

٧. لم يجر الخبر في السورة على ظاهره دائماً، بل خرج على القاعدة العامة في التوكيد وعدمه، فورد وفق وأمور اعتبارية تنزيلية تتعلق بحال المخاطب وموقفه من الخبر، فنجده ينزل منكر الخبر منزلة غير المنكر إشارة إلى عدم اعتداده بالإنكار، ويسوق الخبر

٨. خرج الخبر على الظاهر من القاعدة العامة في التوكيد وعدمه فساق أخباراً في غاية الأهمية والخطورة طال جدال المنكرين حولها، تتناول أس نظام الكون ومالكيته لله، وكذا عرض لأخبار تتعلق بمصير الإنسان ونجاته أو هلاكه، وكل ذلك بأسلوب هادئ بعيد عن صخب المؤكدات وجلجلتها غير محتفل بالمنكرين ولا عابئ بمعتقداتهم وأفكارهم.

٩. يظهر للباحث أن في ذلك ترفعاً من الله الحكيم عن جهالات المنكرين وضلالاتهم اكتفاء بما بث في صفحات الكون من الأدلة والبراهين الدالة على صحة ما أورد.

١٠. وفي مقابل ذلك لوحظ جنوح البيان الإلهي في السورة إلى أسلوب التوكيد في أخبار هي موضع اتفاق وتسليم من الخصم، كالخبر الوارد على لسان إبليس يوم الحساب بحقية وعد الله تعالى، وكنبوة سيدنا موسى ورسالته إلى بني إسرائيل، منزلاً المخاطب المقرِّ بمضمون الخبر منزلة المنكر الجاحد له، لدواع بلاغي منها:

استصحاب حال المخاطبين لما كانوا عليه قبل انجلاء الحق وبزوغه توبيخاً لهم وتنديماً على ما كان منهم، ومنها ظهور أمارات على المخاطبين تنذر بالإنكار وتقتضيه كموقف المنكرين لمحمد صلى الله عليه وسلم والمقر بها لسيدنا موسى.

١١. لم تكن جميع الأخبار الواردة في السورة وفقاً لحال المخاطب بل منها ما كان انعكاساً لنفسية المتكلم وتعبيراً عن مشاعره وانفعالاته، برز هذا النمط جلياً في الأخبار الواردة على لسان سيدنا إبراهيم مخاطباً بها ربه، حين ضمنها خلجات نفسه ونفحات وجدانه، فجاء بها مؤكدة ليعبر بها عن شدة تعلقه بزوجته وذريته ويقرر الهواجس التي كانت تعصف به قلقاً عليهم.

مصادر البحث

ابن أبي طالب، مكي حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، ١٤٢٢هـ، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة: الأولى.

ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، التسهيل لعلوم التنزيل، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر — تونس ١٩٨٤ هـ، ١٧٧/١٣،

ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي، ١٤٢٢ هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة الأولى.

ابن مِهْران، أحمد بن الحسين النيسابوري، ١٩٨١م، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية — دمشق.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي — بيروت

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، ١٤٢٠هـ، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر — بيروت الألوسي، روح المعاني

أبو موسى، محمد محمد، خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة.

الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ٢٩٥/٢

بالجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب، ١٤٢٣هـ، البيان والتبيين، ، الشهير ، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

بالماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان

البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م

البغوي، الحسين بن مسعود، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، معالم التنزيل في تفسير القرآن المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة.

الصعيد، عبد المتعال (المتوفى: ١٣٩١هـ)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء دار الحديث، القاهرة: ١٤٢٣هـ

بيان الحق، محمود بن أبي الحسن، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، جامعة أم القرى – مكة المكرمة حرسها الله تعالى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، ٧٦٣/٢

البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي، ١٤١٨ هـ، أنوار التنزيل واسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة الأولى

التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان بيروت، الطبعة الثالثة.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى.

الجارم، علي، وأمين، مصطفى، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، البلاغة الواضحة، مكتبة البشرى، كراتشي– باكستان.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة.

الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع،١٤١١هـ — ١٩٩٠م، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى.

الحميرى، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م

الخراط، أحمد بن محمد، ١٤٢٦هـ، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

دراز، صبَّاح عبيد، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص — سورية، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ، ١٩٦/٥

الدعاس، أحمد عبيد، حميدان، أحمد محمد، القاسم، إسماعيل، ١٤٢٥ هـ، إعراب القرآن الكريم، دار المنير ودار الفارابي — دمشق، الطبعة: الأولى.

الرازي، عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب للرازي، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٢٠ هـ

الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، الطبعة الأولى:

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر — دمشق، الطبعة: الثانية

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، ٢٠٠٢م، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ

السبكي، أحمد بن علي بن عبد الكافي، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة: الثانية.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، بحر العلوم، تحقيق: محمد علي العوض، عادل عبد الموجود، زكريا النوتي، دار الكتب العلمية، لبنان — بيروت.

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة السابعة عشر – ١٤١٢هـ،

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٤ هـ، ١١١/٣

الصافي، محمود بن عبد الرحيم، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ، ١٣/

الصيادي، أحمد مطلوب أحمد الناصري الرفاعي، ١٩٨٠م، أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني، وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة: الأولى.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى.

طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة

الطيبي، شرف الدين، لطائف التبيان في علم المعاني والبيان، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.

العاكوب، عيسى علي، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني – البيان – البديع)، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية.

عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للطباعة والنشر، إربد، الأردن، الطبعة الرابعة: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م

عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ٥٢

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م، لسان الميزان، المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية.

عوني، حامد، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث.

القرطبي، عبد الله محمد بن فرح الأنصاري الخزرجي، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية

المغربي، ابن يعقوب، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ، (ضمن شروح تلخيص المفتاح)، نشر أدب الحوزة، تصوير: دار الكتب العلمية، لبنان –بيروت.

الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الدمشقي، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م

النسفي، عبد الله بن أحمد، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى.

النيسابوري، محمود بن أبي الحسن بن الحسين، إيجاز البيان عن معاني القرآن، دار الغرب الإسلامي — بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ٤٦١، و

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م